الباب السادس

﴿ فى تاريخ علوم البلاغة ﴾

المعانى والبيان والبديع

بعد مانظر علماء السلف فى كلام العرب من جهة صحته ودونوا لذلك النحو تتبعوا كلام البلغاء منهم فرأوا ان تراكيبه تتفاوت بهيآت وخواصّ تدل على معان ثانوية زائدة عن اصل المعنى فاستنبطوا من ذلك اصولاً دوّنوها ونوّعوها الى ثلاثة علوم الاول يبحث فيه عن الخواص والهيآت التى تقتضيها المقامات والاحوال وسموه علم البلاغة اوالمعانى والثانى يعرف به ايراد المعنى الواحد بعبارات مختلفة فى وضوح الدلالة عليه وسموه علم البيان وان شئت قلت هو علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية والثالث يبحث فيه عن وجوه تكسو الكلام حسناً وسموه البديع وقد سموا العلوم الثلاثة تارة بالبديع وتارة بالبيان وتارة بعلوم البلاغة ومسائل هذه الفنون لم تجئ دفعة واحدة بل تلاحقت واحدة بعد اخرى ثم رتبت اخيراً

ويظهران ابا عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هو اول من صنف فى المجاز فانه لماسئل بمجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه فى قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين واجاب بانه كقول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال

كان هذا سبباً فى ان يضع كتاباً فى مجاز القرآن وقد سبق بسط ذلك فى تاريخ النحو

وعبدالله بن المعتز العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ اول من كتب فى البديع فانه جمع من وجوهه سبعة عشر نوعاً وقال فى كتابه وما جمع قبلى فنون البلاغة احد ولا سبقنى اليه مؤلف ومن احب ان يقتدى بى ويقتصر على ما اخترعناه فليفعل ومن رأى اضافة شىء من المحاسن اليه فله اختياره وعاصره قدامة الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً توارد معه على سبعة منها وسلم له ثلاثة عشر فتكامل لهما ثلاثون ثم جمع ابو هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ سبعة وثلاثين فى كتابه المسمى بالصناعتين ثم جمع مثلها ابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٥٦ فى كتابه المسمى بالعمدة ثم اوصلها عبدالعظيم ابن ابى الاصبع العدوانى المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ الى التسعين فى كتاب سماه تحرير التحبير فى علم البديع . ثم جاء صفى الدين عبد العزيز الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ ونظم قصيدة طويلة فيها ١٤٠ نوعاً باعتبار اصناف التجنيس نوعاً واحداً وجعل كل بيت منها مثالاً لنوع وذكر اسم النوع البديعى الى جانب البيت وسماها الكافية البديعية ثم شرحها شرحاً لطيفاً ثم حذا الناس حذوه ونظموا بديعيات . منها بديعية عز الدين الموصلى المتوفى فى حدود سنة ٨٠٠ ملتزماً فى البيت ذكر اسم النوع وشرحها شرحاً وافياً وتسمى بالفتح الآلى فى مطارحة الحلى . ومنها بديعية شرف الدين اسمعيل اليمنى المعروف بابن المقرى المتوفى سنة ٨٣٧ جمع فيها ١٥٠ نوعاً من انواع البديع . وبديعية الشيخ ابى بكر على المعروف بابن حجة

الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ وتعرف بخزانة الادب وشرحها والمولى الناصر هو الذى رسم له بنظمها ملتزماً فيها تسمية النوع ومجارياً فيها الصفى الحلى وكان يشيد البيت فيرسم له بهدمه ويقول له بيت الصفى اصفى موردافيعيد النظم الى ان يحكم له بالسبق كذا ذكر فى خطبة الشرح . ومنها بديعية عائشة الباعونية الدمشقية المتوفاة سنة ٩٢٢ وتسمى بالفتح المبين وقد شرحتها شرحاً مختصراً والشرح مطبوع مع شرح بديعية ابن حجة سنة ١٣٠٤ فى المطبعة الخيرية بالقاهرة . ومنها بديعية عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ المسماة نسمات الاسحار وقد شرحها شرحاً جليلاً متقناً سماه نفحات الازهار اتى فى خطبته على ذكر البديعيات الاربع السابقة وعاب بديعيتى الموصلى وابن حجة وقد طبع الشرح بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٩

(والشيخ عبد القاهر الجرجانى) المتوفى سنة ٤٧١ ألف كتاب دلائل الاعجاز واسرار البلاغة فى المعانى والبيان ومن كلامه : ان الكلام الذى يدق فيه النظر ويقع به التفاضل هو الذى تدل بلفظه على معناه اللغوى ثم تجد لذلك اللفظ دلالة ثانية على المعنى المقصود فهناك ألفاظ ومعان أُوَل ومعان ثوان

(وابو يعقوب يوسف السكاكى) المتوفى سنة ٦٢٦ ألف كتاب مفتاح العلوم قال فى مقدمته « اعلم ان علم الادب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الاوضاع وشىء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف الثمام أما اذا خضت فيه لهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطإ فى العربية وسلوك جادّة الصواب فيها اعترض دونك منه انواع تلقى لأدناها عرق القربة لا سيما اذا انضم الى همتك الشغف بالتلقى لمراد

الله تعالى من كلامه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهناك يستقبلك منها ما لا يبعد ان يرجعك القهقرى وكأنى بك وليس معك من هذا العلم الا ذكر النحو واللغة قد ذهب بك الوهم الى ان ما قرع سمعك هو شيء قد افترعته عصبية الصناعة لا تحقيق له والا فمن لصاحب علم الادب بانواع تعظم تلك العظمة لكنك اذا اطلعت على ما نحن مستودعوه كتابنا هذا مشيرين فيه الى ما تجب الاشارة اليه ولن يتم لك ذلك الا بعد ان تركب له من التأمل كل صعب وذلول علمت اذ ذاك ان صوغ الحديث ليس الا من عين التحقيق وجوهر السداد »

وقد قسم المفتاح الى ثلاثة اقسام الاول فى الصرف والثانى فى النحو والثالث فى علوم المعانى والبيان والبديع وعرف المعانى بانه تتبع خواص تراكيب الكلام فى الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره قال واعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهى تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها فى صناعة البلاغة واعنى بخاصية التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب وعرف البيان بأنه معرفة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه او بالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه وقد طبع بالمطبعة الادبية بالقاهرة سنة ١٣١٧ للهجرة .

وقد شرح القسم الثالث من المفتاح العلامة محمود بن مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ وسمى شرحه مفتاح المفتاح . وشرحه ايضاً

السيد الشريف على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ولخص هذا القسم محمد ابن عبد الرحمن القزوينى خطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ وسمى كتابه تلخيص المفتاح ثم وضحه فى كتاب سماه ايضاح المعانى والبيان وضم اليه ما خلا عنه مما تضمنه المفتاح مع زيادات من دلائل الاعجاز واسرار البلاغة وقد شرح التلخيص مسعود بن عمر التفتازانى المدعو بسعد المتوفى سنة ٧٩١ شرحاً واسعاً سماه المطول ثم اختصر المطول فى شرح يعرف بمختصر السعد . وقد شرح التلخيص ايضاً عصام الدين ابراهيم الاسفرايني المتوفى بسمرقند سنة ٩٥١ وقيل سنة ٩٤٥ وسمى شرحه بالاطول . وقد اخذ شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ وبنى عليها كتاباً جليلاً فى الادب يشبه خزانة الادب للبغدادى وسماه معاهد التنصيص . وشروح التلخيص الثلاثة السابقة تقرأ بالازهر بعد كتب النحو وقد اكثر العلماء من الحواشى على شرحى التفتازانى . فمنها على المطول حاشية السيد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ . وحاشية حسن چلبى الفنارى المتوفى سنة ٨٨٦ وحاشية عبد الحكيم الهندى المتوفى سنة ١٠٦٧ ومنها على المختصر حاشية احمد بن يحيى حفيد السعد المتوفى سنة ٩٠٦ وحاشية محمد الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ محمد الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠

وابو الليث السمرقندى من علماء النصف الثانى من القرن التاسع صنف متناً فى الاستعارات يعرف بالسمرقندية يقرأه الطلاب المبتدئون وقد كتب عليه كثير من العلماء . فمن ذلك شرح العصام وشرح احمد الملوى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ وحاشية الشيخ ابراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٦٧ . وعلى شرح العصام

حاشية لحفيده الشيخ على المتوفى بمكة سنة ١٠٠٧ وحاشية للشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ وعلى شرح الملوى حاشية للشيخ محمد الامير المصرى المتوفى سنة ١٢٣٢ وحاشية للشيخ محمد الدمنهورى فرغ من تأليفها سنة ١٢٣٣ وحاشية للشيخ محمد الخضرى الدمياطى المتوفى سنة ١٢٨٨

ومحمد بن الشحنه التركى المتوفى سنة ٨١٥ يحاب له منظومة فى المعانى والبيان والبديع وهى مائة بيت ولذا يقال لها مائية المعانى والبيان . ولمحمد ابن عبد الحق الطراباسى شرح عليها سماه درر الفوائد المستحسنة فرغ من تأليفه سنة ١١٠٩ ولمحمد بن العزى شرح عليها ايضاً سماه مواهب الرحمن فرغ من تأليفه سنة ١١٣٤

وجلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ له أرجوزة سماها عقود الجمان فى علم المعانى والبيان قال فيها :

وهذه ارجوزة مثل الجمان ضمنتها علم المعانى والبيان
لخصت فيها ماحوى التلخيص مع ضم زيادات كامثال اللمع

وقد شرحها شرحاً حسناً

والشيخ عبد الرحمن الاخضرى له منظومة ايضاً سماها الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون فرغ من نظمها سنة ٩٥٠ وعليها شرح حلية اللب المصون تأليف الشيخ احمد الدمنهورى المتوفى سنة ١١٩٢ وللشيخ مخلوف حاشية على هذا الشرح فرغ من تأليفها سنة ١٢٦٥

والشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ له كتاب فى البيان يعرف بالرسالة البيانية . وللشيخ محمد عليش المصرى المتوفى سنة ١٢٩٩ حاشية

عليها وكذا للشيخ مخلوف حاشية عليها وقد طبعت سنة ١٢٨٥ بالمطبعة الوهبية بمصر وايضاً للشيخ محمد الانبابى حاشية كبيرة عليها طبعت ببولاق سنة ١٣١٥

والشيخ حسين المرصفي من اساتذة المدارس المصرية له كتاب جليل فى فنون الادب يسمى بالوسيلة الادبية وقد طبع سنة ١٢٨٩ بمطبعة المدارس الملكية وكان رحمه الله مع كونه بصيراً واسع الاطلاع فى الادب حسن المحاضرة والنوادر قرأت عليه كتابه هذا بمدرسة دار العلوم وقد جاء فى مقدمته ما نصه « اعلم ان هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما سبقت الاشارة اليه انما تحصلت لباذلى هممهم فى تحصيلها بتتبع الكلم العربى يسمعونه منهم ويروونه عنهم واول من تنبه لاستخراج هذه الفنون واتخاذها معياراً لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشاعران الشهيران مسلم بن الوليد وابو تمام حبيب بن أوس الطائى ولكن لم يدوناها وانما كانا يتحدثان بها ويسميانها البديع ولما اكثرا من استعمال مقتضياتها وتبعهما بعض شعراء ذلك العصر غالب ميلهم مع زخرفة الالفاظ اخذ الشعر هيئة غير هيئته العربية حتى ان فحول الشعراء اذ ذاك كانوا يقولون قد افسد هؤلاء الشعر بذلك الشيء الذى يسمونه البديع ولم يزل يتزايد الحديث فى ذلك الى ان جاء عبدالله بن المعتز وقدامة الكاتب فوضع كل منهما موضوعاً لطيفاً ثم اتسع القول فيه بعد واقبل عليه كتاب الانشاء وسموه البيان وهذا انموذج تأليف الاوائل فى هذه الفنون ابتدأ بعضهم كتابه بقوله : «البلاغة على عشرة اقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان» ثم اخذ فى بيان كل

منها والاستشهاد عليه وذكر تفاوت البلغاء فيه ولما اتسعت دائرة القول فى العلوم الفلسفية بين المسلمين حتى افضى بهم التكلم فى تخليص العقائد الاسلامية وازاحة الشبه عنها الى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة اعجاز القرآن رأى الناس نفع هذه الفنون فى معرفة اعجاز القرآن الذى هو برهان الدين الحق فصارت من العلوم الدينية واشتغل بها طائفة من الناس واكثروا فيها من التآليف واولهم الشيخ عبدالقاهر وبحسب اختلاف جهات البحث ميزوا الفنون وخصوا كلا بلقب وهى ثلاثه فنون فن يبحث عن الالفاظ من حيث كونها مستعملة فى معانيها التى وضعت لها او فيما يناسبها اعتماداً على المناسبات وسموه فن البيان وفن يبحث عن المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الاغراض منها وسموه فن المعانى وفن يبحث عن احوال تعرض للكلام فتكسبه حسناً وسموه البديع » اه

والشيخ محمد البسيونى من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب فى العلوم الثلاثة سماه حسن الصنيع وقد طبع بمطبعة ديوان المعارف سنة ١٣٠١ وكان يقرأ بمدرسة الحقوق

والشيخ محمود العالم المنزلى من علماء الازهر واساتذة المدارس المتوفى حوالى سنة ١٣١٠ له كتاب جمع فيه خمسة علوم الصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع وسماه انوار الربيع وقد طبع فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ وكان يقرأ بالمدارس التجهيزية

والشيخ الفاضل هارون عبدالرزاق من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب حسن الصياغة فى فنون البلاغة طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٨٨٩ للميلاد وهو رسالة صغيرة كانت تقرأ بالمدارس

وقد الفنا انا وحفنى بك ناصف ومحمد افندى سلطان والشيخ مصطفى طموم كتاب دروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية يقرأ بعد كتبنا النحوية السابقة وقد طبع بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٠

الباب السابع

« فى تاريخ المحاضرات »

كانت سوق الادب رائجة فى عهد خلفاء بنى امية فى الشام والاندلس وخلفاء بنى العباس فى العراق اذ كانوا يقربون من مجالسهم أدباء عصرهم ليحادثوهم بما يروح نفوسهم ويشرح صدورهم من قَصِّ نوادر غريبة واخبار عجيبة وانشاد اشعار رقيقه وعلى سننهم جرى عُمَّالهم فى الامصار فكان الاديب يبذل وسعه فى تعرّف انباء السالفين والحاضرين وحفظ اشعارهم واستحضار ملحهم ولطائفهم ليكون ذا اطلاع واسع واقتدار بارع على ان يحضره بداهة فى مجلس الخليفة او الامير ما يقتضى الحال ذكره لينال منه كذا جائزة وقد دونوا لهذا الغرض مصنفات تجمع نوادر واخباراً وملحاً واشعاراً وغيرها وسموا معرفة ذلك بعلم المحاضرات وهو لاريب نوع خاص من علم التاريخ

واساس هذا العلم على ما يقال كتاب (كليلة ودمنة) الذى ترجمه الى العربية عبدالله بن المقفع كاتب الخليفة ابى جعفر المنصور العباسى المتولى